اعظـــم الأعمـــال

في رايى أن اعظم واجل الأعمال التي يمكن أن يقوم بها المصلحون في بلاد المسلمين , هي أن يفتحوا آذان الشعوب الإسلامية وعيونهم علي التراث الانساني الثقافي, سواء أكـــان هـــذا التراث إسلاميا أم سابقا للإسلام أم لاحقا له.

ولا أود أن اقدم هذا الرأي باعتباره اقتراحا قابلا للدراسة والتمحيص, بل انه حقيقة أمنية يتحتم الاعتراف بها ما دمنا نحن المسلمين نريد أن تفتح الأبواب أمام البعث الجديد.

واذا لم نؤمن بهذه الحقيقة فلا سبيل ــ علي الإطلاق ــ الي النهـــوض بشـــعوب العـــالم الاسلامي لانه من المحال جعل البعث الجديد آمرا واقعا في بلادنا المتأخرة الجاهلـــة المريضـــة الجائعة إذا لم نعمل فورا علي إزاحة الغشاوة عن عيون الملاين المسلمة, لكي تري الطريق, ومن ثم تبدا ثقافة الفرد المسلم تأخذ شكلها الجديد في هذا القرن العشرين المليء بالنور, المليء بالمدنية , المشحونة بالمعرفة..

استأنف حديث ألامس... وكنت مررت بك أيها القارئ مرا سريعا بالتاريخ ــ تاريخنـــا نحن المسلمين ــ وحدثتك عن الدور المجيد الى قام به أجدادنا في عصرهم الزاهي أيـــام بنـــي العباس في سبيل تقدم البشر جميعا بلا تعصب, وبلا حقد ولا حسد...

واظن أن مقال ألامس كان كافيا لاثبات الحقيقة الرائعة.. التي ظلت مطوية فـــي بطـــون التاريخ بالنسبة لنا علي الأقل نحن المسلمين...

وتلك الحقيقة تقول آن العرب في عصرهم الزاهي هم الذين حملوا المشاعل وحدهم فوق هذه الأرض , فأضاءوا لملاين البشر في أوروبا الطريق نحو المدنية.. نحو العلم.. نحو التقدم..

كانوا العرب يؤمنون بان الثقافة وحدة في هذا العالم لا تتجزا, فلم يبخلوا بها علي غيرهم..

ثم بعد أن سيطر تجار الدين والمشعوذون والرجعيون علي المصائر في بلاد المسلمين , انطفأت المشاعل فاندثرت الثقافة وانهارت الحضارة, واصبحنا نحن أحفاد حملة المشاعل نعيش كجثث هامدة في قبور مظلمة سميت ببلاد المسلمين.

وبعد أن نهضت أوروبا وانبعثت فيها تراث الإنسانية الثقافي بفضل العرب, استبدت الأنانية بحكامها وطبقاتها العالية وأيضا بمثقفيها وعلمائها وفنانيها, فلم يحملوا المشاعل مثل العرب الأمجاد ليضيئوا الطريق أمام الشرق الذي سيطرت عليه الكهانة, مثلما كانت تسيطر علي الغرب في القرون الوسطي...

فلم يساهم الغرب في بعث نهضة الشرق علي الإطلاق, تماما مثلما فعل الرومان أيام إمبراطوريتهم المزدهرة..

فقد تعرضت حضارة الإغريق المجيدة لحقد أباطرة روما وقوادها العسكريين ونبلائها الأشرار, فعملوا علي طمسها ودفنها في التراب.. لان الامبراطوريتهم كانت قائمة علي السخرة والاثم والقوة والقهر.

ولم يقدر لتراث أثينا الثقافي والعلمي أن ينبعث أبدا الا عندما حمل العرب مشاعلهم وقدموا للبشرية ذلك التراث, وفي نبل وكرم عظيمين.. وبلا ادعاء او أمن...

واقول أن الغرب بعد نهضته وازدهار المدنية فية اتجه الي هدف شرير أثيم, فقرر استعمار الشرق لا النهوض به.. ونادي كيفنج الفيلسوف الاستعماري الإنجليزي الرجعي بهذا , واهاب بقومه أن يسرعوا في التهام الفريسة المسلمة, قبل أن تفيق من ثباتها العميق.. فاطلق كلمته المشهورة: الشرق شرق, والغرب غرب.. ولن يلتقيا..

ونسي ذلك الرجعي أن الشرق سبق له أن التقي بالغرب في قديم الزمان, عندما بعث العرب نهضة هذا الغرب وأشاعوا فيه النور..

وهكذا تمت الجريمة واطبقت المأساة في بلاد المسلمين...

فزحفت الغرب علي الشرق, لا بالمشاعل ولكن بالسيف والمدفع, ثم وزع الغرب الفريسة المسلمة علي دوله تبعا لقدرة كل دولة وقوتها...

ولم يجد الغرب سندا له في التهام فريسته سوي رجال الـــدين ــ اســـتغفر الله ــ اقصـــد المشعوذين الدجالين, طلاب الأسلاب والجاه والشهرة, من المنتسبين للدين بالباطـــل والـــزور.. الجهلة الأميين الذين امتلأت رؤسهم بالوهم فحولوا رسالة محمد الثائر الداعي الي الحق والعمـــل والعدل الي كهانة... ونفخ المستعمر فيهم ــ في المشعوذين, واحتضن كهانتهم, وعمل علي نشرها في ربوع البلاد الإسلامية, وحارب ــ في نفس الوقت ــ كل دعوة يجئ بها ثائر من المســـلمين ليهدى بها قومه الي الطريق.

فدعوة جمال الدين الافغاني ــ مثلا ــ الي التحرر من الكهانة وقوله أن الدين ما وجد الا ليطور حياة البشر حسبما تقتضي الأحوال والبيئة والظروف والواقع... أقـــول أن هـــذه الـــدعوة الأمينة المخلصة بددها المستعمر وطارد أنصارها بمعاونة الرجعين والمشعوذين والحكام الخونة.. الذين أيضا كانوا يتمسحون في الدين, ويصلون علي النبي, وينطقون الشهادتين.

حوربت هذه الدعوة وكل دعوة مثلها في مصر وفي الهند وفي الشرق كله, لأنها ستبعث الموتى من قبورهم, فيطالبون بحقهم في العلم والرزق والعدل والحرية..

وكما حدث في أوروبا أيام القرون الوسطي من إنهاض لا مثيل له لمن ينادون بالقضـــاء علي التجارة في الدين... حدث نفس الشيء في الشرق... فجمال الدين الافغاني يطرد من مصر ويتعرض أنصار دعوته الي للبطش والتشريد... ويطرد من الهند عندما قال لملاين الهنود: " لو كنتم ضفادع لا أدمين ودستم بأقدامكم علي الجزيرة البريطانية لاغرقتمونها في البحر وتحررتم... "

ويطرد نفس الثائر المسلم من روسيا القصيرة, وعندما حاول في مطرسبرج, أن يلفت الأنظار الي ظلم القياصرة والكهانة في كنفهم...

ويطرد من كل مكان يذهب أليه وهو ينادي البشر جميعا علي اختلاف ديانتهم بـــالتخلص من الكهانة والأيمان بان الدين ــ أي دين ــ هو نضال في سبيل التقدم والرقي والمعرفة... فـــي سبيل السيطرة علي المقدرات لا الخضوع لها..

كان أمثال جمال الدين الافغاني هم ــ الحقيقة ــ القادة المؤمنين بالدين, فهـــو لا يبـــالي باضطهاد, ولا يهادن حاكما, ولا يخشي قوي الشر المجتمعة, ولا يكف عن صـــيحة الحـــق, ولا

يدخل ــ مثلا ــ قصر ملك باطش ليساومه, ولا يتسلل ــ مثلا ــ في غفلة من اتباعه الي حجرة ممثل الاستعمار ليعرض عليه صفقه...

ولا يؤيد ــ مثلا ــ بقاء ابشع نظام عرفه البشر ــ الإقطاع فيقول عنه انه مــن صــنع الله...

حارب الاستعمار أذن المناضلين في الشرق والداعين الي الفتك بالكهانة, واحتضن تجار الدين واسبغ عليهم حنانه ورضاه...

وان كان في نفس الوقت يتظاهر بالخوف منهم ويزعم انهم يريدون زواله حتى يقربهم من الشعوب...

وهم لا يريدون هذا الزوال, لان زوال الاستعمار معناه زوالهم بدليل أن كل تاجر ديــن ظهر هنا في مصر ــ مثلا ــ كان لا يتجه في كفاحه الي الاستعمار مباشرة او الي الجهل... الي الأعداء الحقيقيون للشعب, بل كان يفرغ كل طاقته وطاقة اتباعه في مهاجمــة الأذرع العاريــة, وبخل بعض الذين" اصطفاهم " الله بنعمته, والقبعات وظل الكلب هــل يــنقض الوضــوء او لا ينقصه... والسنيما التي هي رجس والفن الذي هو شر, وحكايات عن الإفرنج الكفرة...

كان يحول أنظار الشعب الي أشياء ليست في برنامج كفاحه من اجل التحري... من اجل الرزق... من اجل العلم... من اجل السلام...

ومن ثم ارتكب تجار الدين صناع الكهانة الجريمة الكبري لتثبيت أركان المسلمين... وتلك الجريمة هي صنع ستار حديدي بين عقول المسلمين وبين الثقافة العالمية... التي هي الأساس في بناء الحضارات وفي البعث... وكل البعث...

فتجار الدين في كل العصور يصرون علي أن المدنية شئ زائف... كيف؟...

انهم لا يعرفون فليس لهم منطق, ولكن لهم هدف أثيم, هو تزهيد الفرد المسلم في حاجاته, في ضروريات عصره... في عمله وعدله وحرياته...

فهم ــ تجار الدين ــ يرون مثلا أن تدريس أركان الصلاة والصوم ومناسك الحج في بلاد تعاني من الاستعمار أي من الظلم... أي من الجوع والعري والمرض... هو الشيء الــذي يحقق أهداف الشعب المغلوب علي أمره... لا علي دينه.

فإذا كان الدين وخاصة ــ دين محمد المناضل الثائر ــ لا يصيح بالشعب أن يطرد الغزاة ويحطم الإقطاع ويبطش بالحكام الخونة ويبدد ظلال الاستغلال فآي هدف نزل مــن اجلــه هــذا الدين؟. هل نزل لكي يظل الشعب طوال عمره راكعا ساجدا متبتلا وهو يعــد نفســه لــدخول الجنة.؟.

ومحمد الرسول هو الذي قال: احتطبوا ــ أي اعملوا ــ لان الاحتطاب افضل عندي من الصلاة والصوم.؟

أن الستار الحديدي الذي أقامه الغرب بين المسلمين وبين الثقافة العالمية كانت لبناته من رؤس المشعوذين والدجالين.. التجار الذين زيفوا اعظم الرسالات واقواها واصلحها لبناء حضارة الإنسان...

والي الغد استأنف حديثي الطويل